تعامل القائد التركي العثماني سليمان باشا مع القوى اليمنية للسيطرة على سواحل اليمن (سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م)

أ.د/محمد عبده السروري

المقدمة:

سيبدأ هذا البحث ذكر الأسباب التى أدت إلى اتجاه الاتراك العثمانيين لمحاربة البرتغاليين في الهند، ومنها استجداء حكام المسلمين بالهند لعدم مقدرتهم العسكرية الوقوف ضد البرتغاليين من الاستيلاء على موانيهم. كما سيذكر البحث استخدام سليمان باشا الحيلة والمكر مع أمراء مصر بالقتل، وهي الصفة التي تعامل بها مع حكام اليمن. كما سنوضح ذلك فيما بعد.

وكذا سيذكر البحث أهمية ميناء السويس لبناء السفن الحربية في عهد المماليك ومن بعدهم العثمانيين، وسيتحدث عن سير الأسطول الحربي العثماني من السويس حتى وصوله إلى الهند كما سيذكر البحث فشل مهمة سليمان باشا بالهند، وتحوله إلى اليمن للاستيلاء على سواحلها.

وسيركز البحث في هذا الجانب على الطريقة التى تعامل بها سليمان باشا مع القوى الحاكمة في اليمن، في كل من عدن والشحر وزبيد وتهامة وجيزان، وقد اتصفت طريقته بأنها كانت تبدأ ظاهريا بالتعامل الطيب والهدف منه كسب ثقة الحكام، لاستدراجهم للحضور إليه إلى سفينته، ثم تنتهي بالتحايل عليهم والتخلص منهم بالقتل. وبهذه الطريقة الماكرة تمكن سليمان باشا من القضاء على أهم حكام اليمن، والاستيلاء على سواحلها، نورد تفاصيل ذلك بالآتى:

أسباب اتجاه الأتراك العثمانيين لقتال البرتغاليين:

تعددت العوامل التي دفعت الأتراك العثمانيين إلى التحرك لقتال البرتغاليين، وأهمها الديني العسكري والسياسي والاقتصادي، وعلى الرغم من ترابط هذه العوامل ببعضها البعض، وصعوبة الفصل فيما بينها، إلا أنه يمكن التحدث عنها منفصلا، نختصر ذلك بالآتي:

١) **العامل الديني**: كان يشكل آنذاك أهم العوامل التى دفعت الاتراك العثمانيين لمحاربة البرتغاليين، وهو التزام العثمانيين بحماية الحرمين الشريفين أو الاماكن المقدسة [١] ، من أن تقع تحت السيطرة البرتغاليين الكفار، بالإضافة إلى التزامهم حماية المسلمين وبلدانهم. ولذلك نلاحظ عندما أكتمل تجهيز الأسطول الحربي العثماني في السويس وبدأ التحرك نحو الهند فإن قائده (نادى بالجهاد في سبيل الله على البرتغال) [٢]

٢) **العامل العسكري**: كان له الاثر الكبير في تحقيق المصالح السياسية والدينية والاقتصادية ولذلك كان لتفوق القوة العسكرية البرتغالية أثرها الكبير على مقدرتهم السيطرة على موانى الهند وتجارتها، كما كان لضعف القوى العسكرية لمسلمى الهند أثره على عجزهم مقاومة البرتغاليين وحماية أنفسهم وبلدانهم. مما جعلهم يطلبون المساعدة من القوى

---

(١) اوغلي، كمال الدين احسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، مركز الابحاث للتاريخ و الفنون و التعاون الاسلامي ، استانبول ١٩٩٩م ، ص ٣٤ .

(٢) النهزوالي، قطب الدين محمد بن أحمد، البرق اليماني في الفتح العثماني، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ،ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .

الاسلامية الأكثر قوة عسكرية، ونتيجة للتفوق العسكري العثماني فقد اعطاهم ذلك المقدرة على مساعدة مسلمي الهند، والاتجاه لمقاتلة البرتغاليين، دفاعا عن المصالح المشتركة للمسلمين وبلدانهم.

٣) **العامل السياسي**: أوجد استيلاء البرتغاليين على مواني سواحل الهند قلقا كبيرا على القوى الاسلامية في الهند والاتراك العثمانيين. ولذلك كان من واجب العثمانيين التحرك لمنع البرتغاليين من الاستيلاء على مواني وبلدان مسلمي الهند، في ظل عدم تمكن القوى الاسلامية في الهند من منع البرتغاليين الاستيلاء على موانيهم، واستنجادهم بالأتراك العثمانيين، كونهم يدينون جميعا بالإسلام. ولذلك استجاب العثمانيون لطلبهم، فاعدوا أسطولا حربيا لمحاربة البرتغاليين. يضاف إلى ذلك اقدام البرتغاليين على قتل حاكم كجرات وديو في الهند السلطان بهادر شاة غدرا، فأثر ذلك على تحرك حمية الاسلام لدى العثمانيين، فأمر السلطان سليمان القانوني الاسراع في انشاء الأسطول الحربي في السويس وامرهم أن (يأخذوا بالثأر من الكفار الفجار) (١)

٤) **العامل الاقتصادى**: بالإضافة إلى ذلك كان العامل الاقتصادى أثر كبير على تحرك العثمانيين وخاصة بعد أن تمكن البرتغاليين من السيطرة على الموانئ التجارية لبلاد الهند الاسلامية، وعلى الطرق التجارية البحرية الموصلة من بلدان شرق وجنوب آسيا الى البلدان الاسلامية، ومحاولتهم تحويل طرق التجارة البحرى عبر رأس الرجاء الصالح، ومنهم وصول التجارة عبر البحر الأحمر إلى البلدان الاسلامية والبحر المتوسط (٢) وكان لذلك أثره الكبير على ايرادات هذه البلدان وخاصة اليمن والحجاز ومصر لذلك كان لابد من سعى العثمانيين لمنع البرتغاليين من الاستحواذ على السيطرة على مواني الهند وعلى الطرق التجارية الموصلة إليه. ومنها ازدياد القرصنة البرتغالية علي التجارة القادمة نحو خليج عدن والبحر الأحمر (٣).

وصف تعامل سليمان باشا:

تعامل سليمان باشا بالقسوة والتخلص من الامراء بالقتل عن طريق المكر والخداع فوصف بأنه: (كان فتاكا للدماء وسفاكا، ضعيف العقل عديم الرأي والعقل) (٤)، وممن تعامل معهم بالقتل غدرا من امراء مصر أثناء ولايته لها، الامير جام الحمزاوي الذي كان (من أعظم الناصحيين في خدمة السلطنة) العثمانية وابنه يوسف الذي كان أميرا للحج المصرى. وكان قتلهما في آخر يوم من ذي الحجة سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م، وترجع بعض المصادر سبب القتل إلى أن الحمزاوي كان قد بنى برشتين كبيرتين وجهزهما بأنواع المؤن والآلات بهدف الذهاب إلى الهند لمقاتلة البرتغاليين، وكان سليمان باشا يعتقد أنه سيذهب معه، ولما حان وقت سفر الأسطول أخرج الحمزاوى مرسوما يعطيه حرية الاختيار بالذهاب أو القعود بمصر لذلك خاف سليمان باشا أنه سيملك مصر بعده، فتآمر على قتله مع ابنه (٥). كما قتل

---

(١) النهزوالى، البرق اليماني ،ص٧٠، ابن داعر، عبد الله بن صلاح الدين، الفتوحات المرادية في الجهات اليمنية مخطوط رقم ٩٧٩، مكتبة راغب باشا، ص ١٨٥. الشلي، السيد محمد السناء الباهر بتكميل النور السافر في اخبار القرن العاشر، تحقيق ابراهيم المقحفى، مكتبة الارشاد، ط١ ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣٣٨.

(٢) اوغلى، الدولة العثمانية ص ٣٤.

(٣) حسن صالح شهاب، ملامح من تاريخ الملاحة في البحر الاحمر، مجلة الثقافة اليمنية، عدد ٦٧، مايو ٢٠٠٢، ص٣٣.

(٤) النهزوالى، البرق اليمانى، ص٧٠، سيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول لليمن ، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوى، مصر، ط٣، ١٩٧٨م، ص١٥٨.

(٥) بافقيه، محمد بن عمر الطيب، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق، عبد الله الحبشى، نشر مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٢٦٠.

غدرا من غير ذنب حسد له ولكثرة ماله وبذل يده، أمير الصعيد داود بن عمر، والذي (كان من أحين أمراء الصعيد) بمصر، وكان كثير البر والصدقات محبا للخير والحسنات) نحو علماء الازهر وأهل الحرمين.

ومن أهو أعماله وحسناته تجاه علماء جامع الازهر أنه كان (يحسن في كل عام إلى كل وأحد من علماء جامع الازهر والمشايخ ما يقارب الخمسمائة دينار ذهب ومن أهم أعماله وحسناته نحو أهل الحرمين الشريفين هو أنه (حج سنة ٩٣٧هـ/١٥٣٧م (فأغدق عليهم، وتصدق عليهم :(بصدقة كبيره من الدراهم والقمح) شمل الكثير منهم. ولم يكتف سليمان باشا بذلك بل قتل بعدهم عدة من امراء العرب من أمراء الصعيد منهم ابن ابى الشوارب وزعيره).

وأما عن ترقيته إلى المراتب العليا فإنها لم تكن وفقا لمقدرته القيادية وادارته وشجاعته واقدامه (وانما كان بفتك بمن وقع في يده ما سورا مربوطا) [١]

وهكذا اتصف تعامل سليمان باشا بالقتل غدرا دون ذنب الكثير من امراء مصر، وهي نفس الصفة التي استخدمها مع القوى في اليمن بقتلهم غدرا وذلك ما سنذكره فيما بعد.

السويس:

تعد ميناء السويس الواقعة على طرق بحر القلزم من جهة ساحل مصر من أهم الموانئ المصرية، كونها أقرب الموانئ المصرية إلى القسطاط والقاهرة عاصمة الإقليم المصري [٢]، وكان ظهور نشاطها كميناء تجارى بعد أن تعرضت مدينة القلزم للخراب.

ومن أهمية ميناء السويس أن الميرة أو الأطعمة كانت تنقل اليها من مصر ثم تحمل منها بالمراكب إلى الحرمين الشريفين[٣] كما يتميز السويس أنه الميناء التجاري الذي تصل إليه السفن التجارية من جدة وعدن محمله بأنواع التوابل والبهارات وأنواع البضائع التجارية.

وتظهر أهمية السويس أنها تربط مصر تجاريا عبر البحر بأنحاء البلدان الواقعة على سواحل البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي، فهي تستقبل أنواع السلع التجارية القادمة من مواني الهند والصين وجنوب شرق آسيا بالإضافة إلى مواني جنوب وشرق افريقيا، وكذا مواني انحاء الجزيرة العربية ولكن ميناء الطور حل محل السويس في استقبال البضائع التجارية أواخر العصر المملوكى.

ومنذ قدوم البرتغاليين إلى مياه المحيط الهندى والبحر الأحمر تحول ميناء السويس الى دار لصناعة السفن الحربية لمجابهة ذلك الغزو [٤]، من ذلك أن السلطان الفوري عندما طلب منه مسلمي الهند المساعدة ضد البرتغاليين جهز من السويس عشرين سفينة حربية للاتجاه بها إلى المحيط الهندى لمحاربة البرتغاليين كما أن السلطان الغوري طلب في سنة ٩١٦هـ/١٥١٠م. من السلطان العثمانى بايزيد الثانى شراء كميات كبيرة من الاخشاب والحديد والبارود لصناعة الأسطول العسكري، كما طلب سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م شراء أنواع لوازم صناعة السفن الحربية من أنواع الأخشاب

[١] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٧١-٨٣، الشلى، السناء الباهر، ص٣٣٨.

[٢] القلقشندى، أبو العباس أحمد صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الكتاب، الذخائر، ١٣٤،ط،٢٠٠٤ ،ص ٤٦٩.

[٣] الحموى، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار احياء التراث العربى، بيروت، ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م،٢٨٦/٣.

[٤] نعيم زكى فهمى، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص١٣٤، محمد عبد الغنى الأشقر، تجارة التوابل في مصر في العصر المملوكى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ المصريين، ١٣٧، ط،١٩٩٩، ص٣٢٦-٣٢٧.

والحبال والمكاحلو النحاس وغيرها فأرسل له ذلك هدية منه [1] ولذلك أصبحت السويس أحد الموانئ المصرية المهمة لصناعة السفن الحربية.

أمر السلطان العثمانى سليمان خان أو سليمان القانوني في بناء أسطول بحري عسكري كبير بالسويس بمصر، يتسع لحمل أعداد كبيرة من الجند، وأعداد من المدافع الكبار والآلات والمؤن[2].

وبناء على ذلك تكونت أعداد قطع الأسطول البحري العثماني مائة سفينة بحرية [3]، منها سبعين غرابا وثلاثين برشه [4]. بالإضافة الى ذلك شحن هذا الاسطول بالكثير من المدافع الكبيرة والمكاحل وأنواع الاسلحة منها البنادق والضربزاناتو البجحانات وسائر أنواع الآلات[5].

كما شحنت بالكثير من الجند بلغ عددهم أربعين ألفا [6] منهم (عشرين ألف جندي من عرب مصر والشام، ومنهم سبعة آلاف من الإنكشارية [7] وهم الجند النظاميون الأكثر تدريبا على القتال.

فضلا عن ذلك حمل الاسطول الأعداد الكبيرة من (الكورلنجة والرئيسا والنوتية) وهم العمال الذين يعملون على نظافة الاسطول والذين يقودون السفن الحربية، والملاحون الذين يديرون السفن في البحر، كما حمل الأسطول الأعداد الكثيرة من الأزواد أو الأطعمة [8] تكفيهم اثناء سيرهم في البحر.

قيادة الاسطول:

اسند السلطان العثماني سليمان القانوني في قيادة الأسطول الحربى المتجه نحو بحر اليمن والهند إلى (البكلاربكى) أو أمير الأمراء سلميان باشا الخادم الأرنؤوطيا وسلميان الخصى [9]، وكان آنذاك يتولى ولاية مصر : (وكانت مصر في أيامه عروسا تجلى ومحاسن وجه ملاحتها كالنهار إذا تجلى)، أما ولاية مصر فقد تولاها داود باشا، وقد وصفت مصر في عهدهما بأنها إحدى جنات الدنيا بقولهم :(وكانت مصر في أيامهما تضاهى الجنان، مشحونة بالحور والولدان، محفوفة بالروح والريحان)[10] وهذه الاوصاف تبين أهمية مصر الحضارية ومقدرتها المالية والعسكرية في الاتجاه للمحافظة على البلدان الاسلامية في الهند وجنوب الجزيرة العربية من الاستيلاء عليها من الغزو البرتغالى.

---

[1] محمود رزق سليم، الأشرف قانصوه الغورى، أعلام العرب ٥٢، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار مصر للطباعة، ص١٣٢، ١١٧.

[2] النهزوالي، البرق اليماني، ص ٧٠، ابن داعر، الفتوحات المرادية في الجهات اليمنية، ص ١٨٥.

[3] المليبارى، أحمد زين الدين المعبرى، تحفة المجاهدين في أحوال البرتقاليين، تحقيق، محمد سعيد الطريحى، ص ٢٧٧.

[4] النهزوالى، البرق اليماني ، ص ٧٠، ابن داعر، الفتوحات المرادية ص١٨٥، الشلى، السناء الباهر، ص ٣٣٨، باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمى، مكتبة الثقافة، عدن ص ١٢٦، القيسي، عبد الوهاب عباس، المجابهة البرتغالية – العثمانية في المياه العربية، أبحاث ندوة رأس الخيمة، ج١، رأس الخيمة، محرم ١٤٠٨هـ، أغسطس ١٩٨٧م، ص ١٧٠.

[5] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٧١.

[6] باحنان، محمد بن على بن عمر، جواهر تاريخ الاحقاف، نشر دار المنهاج، جدة السعودية، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م، ص ٤٨٦، باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمى، ص ١٢٦.

[18] سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن، ص ١٥٧، البحراوى، محمد عبد اللطيف، فتح العثمانيون، عدن، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص١٥١.

[8] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٧١.

[9] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٧١، سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن ص ١٥٧، البحراوي، فتح العثمانيون، عدن ص ١٥٧.

[10] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٧١، ٧٨.

سير الأسطول:

بدأ الاسطول الحربي في التحرك من السويس نحو اليمن والهند في ١٥ محرم سنة ٩٤٥هـ / ١٣ يونيو ١٥٣٨ م، وبعد سبعة أيام من سير الأسطول مر على جدة وفيها توقف قليلا خلالها منع أصحابه من النزول إلى البر، كما أنه استقبل جماعة من أشراف مكة ونوابهم بجدة وألبسهم الخلع والتشاريف [١] ثم غادروها.وكما يبدو أن الهدف من مروره بجدة هو هدف ديني وعسكري، وهو اشعار أهل مكة وجدة أن لديه القوة الكافية لحماية الحرمين الشريفين. بالاضافة إلى التأكد من التحصينات الموجودة بجدة، وكذا التأكد من عدم وجود سفن برتغالية عسكرية قريبة من سواحلها، تحاول تهديد جدة بالاستيلاء عليها. بعد ذلك توجه سليمان باشا بالاسطول العثماني فمر على جزيرة كمران (قمران). وكما يتضح أن السبب من ذلك هو التأكد من خلو هذه الجزيرة من الوجود البرتغالي، لأنه سبق لهم أن سيطروا على الجزيرة وأقاموا فيها التحصينات، ومكثوا بعض الوقت فيها. وعندما وصل سليمان باشا إلى جزيرة كمران (قمران) أرسل سفارة تحت إمرة فرهادى باشا مكونة من ثلاثة زوارق إلى حاكم عدن عامربن دواد الطاهرى يظهر له الود والصداقة، وحاملا معه الخلعة السلطانية إليه ليستميله للوقوف مع العثمانيين ، وكان عامر الطاهري قد اعتاد إغلاق عدن أمام أي قوى قادمه اليها، وقد تمكن فرهادى باشا من استمالة حاكم عدن لطاعة العثمانيين بتعهده له بعدم التعرض له ولبلاده. ولذلك أبدى حاكم عدن استعداده للتعاون مع سليمان باشا العثماني[٢]

تعامل سليمان باشا الغادر للاستيلاء على عدن:

كان وصول الأسطول البحري العثماني إلى عدن يوم السبت تسع خلت من ربيع الاول سنة ٩٢٥ هـ / ١٥٣٨م [٣]، وآنذاك كان يحكمها عامربن داود الطاهري، وهو آخر سلاطين بنى طاهر، وكان قد انزوى في عدن وجعلها مقرا لدولته، لأنه لم يبق له مما كان يحكمه بنو طاهر من اليمن غيرها مع لحج وأبين [٤] لأن الإمام الزيدى شرف الدين وبنه كانوا قد استولوا على الكثير مما كان يحكمه بنو طاهر من المناطق الجبلية الوسطى لليمن مثل تعز ورداع وذمار وصنعاء. أما حضر موت فقد ظهر بها حكام استغلوا بحكمها، في حين أن زبيد وتهامة كانت تحت حكم المماليك الذين كانوا موالين للعثمانيين. اتصف عامربن داود بأنه (كان شابا كريما جواد حليما محسنا إلى الناس) [٥] وهذه الصفات لم تكن منقذه له عندما استخدمت ضده الحيلة والمكر كما سيأتى.

وبخصوص تعامل سليمان باشا فقد استخدم اسلوب الحيلة والغدر للاستيلاء على عدن والتخلص من حاكمها بالقتل وسلك في ذلك التعامل طريقين:

---

[١] النهزوالى، البرق اليماني ، ص ٧١، ابن داعر، الفتوحات المرادية ص١٨٥.

[٢] الثور، أمة الملك اسماعيل قاسم، تقرير سليمان باشا حول أهمية عدن وكيفية سيطرة القوى العثمانية عليها، ندوة عدن بوابة اليمن الحضارية، ص ٤٣٩، عن الوثيقة، ص ١٣٢-١٣٣.

[٣] باحنان تاريخ الأحقاف، ص ٤٨٧.

[٤] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٧١، الشلى، السناء الباهر، ص٣٣٨، العلوى، صالح بن حامد، تاريخ حضر موت، نشر مكتبة الإرشاد، جدة، طبع مطابع دار الكتاب، بيروت، ١٣٦٦ هـ ص٢/٥٨٠.

[٥] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨٠، الشلى، السناء الباهر، ص٣٣٨.

أحدهما التعامل الظاهرى الأول:

هو أن سلميان باشا طلب من عامربن داود حاكم عدن الاذن بالسماح لمجموعة من عساكره أن يدخلوا مدينة عدن لشراء ما يحتاجونه من أنواع البضائع التجارية. والهدف من ذلك هو ايهام حكام عدن وأهلها أنه جاء مسالما ولا ينوى محاربتهم وهو في طريقة إلى الهند وليس إلى عدن.

ومن جهة حاكم عدن عامربن داود فإنه قدم من لحج عندما سمع بقدوم الاسطول العسكرى البحرى العثمانى إلى عدن، وسمح للجند العثمانى دخول المدينة حسب طلب سليمان باشا منه والإذن لجماعة من جنده. ولذلك (فتح له باب عدن) كما (أمر أن تزين) ابتهاجا بقدوم الأسطول العثماني إلى بلاده [1] وكان يعتقد أن سليمان باشا سينصره على الإمام شرف الدين وبنيه. لأنه كان قد طلب من فرحات الصوباشى مناصرة العثمانيين له ضد الإمام شرف الدين وكان ذلك الطلب عندما قدم الصوباشيإلي عدن للتمهيد لهذه الحملة. بالإضافة إلى ذلك عمل عامربن داود الطاهرى على جمع الكثير من المؤن والأزواد (الطعام) من أنحاء البلاد لتقديمها لجند الأسطول العثماني [2] فضلا عن تهيئتهلاستضافتهم وتقديمه أنواع الإكرام والاتحاف [3].

التعامل الظاهري الثاني:

هو أن سليمان باشا طلب من حاكم عدن عامربن داود الطاهرى الذي كان قد تحصن في قلعة عدن، الحضور إلى ظهر سفينته الراسية في البحر، لمنحه الخلعة والتشريعات السلطانية. وفى البداية تحاشى عامر الطاهري الذهاب إليه بنفسه، خوفا من أي مؤامرة عليه ولكنه أرسل أربعة أشخاص من أعيان دولته، كدليل على نواياه الطيبة، واستعداده للطاعة وإعلان الولاء للعثمانيين [4].منهم وزيره وعدد من القضاة فتوجهوا نحو سفينة سليمان باشا للترحيب به، وعند وصولهم إليه استقبلهم وأكرمهم وخلع عليهم الألبسة أو الخلع السلطانية، وهى عادة اتبعت السلطنة العثمانية منحها لمن تتوقع منهم المناصرة أو لكسبهم لصفها. وأثناء ذلك قدم لهم سليمان باشا التطمينات والضمانات بالأمان لهم وعدم تعرضهم لأيشيء ، بعد ذلك أعادهم إلى قلعة عدن [5].

استكمل سليمان باشا في تحايله فكرر طلبه من حاكم عدن عامر الطاهري الحضور إليه، فاحتج الطاهرى بمرضه وأنه لا يستطيع الخروج إلى السفينة في البحر لمقابلته، وذلك خوفا من وقوعه فريسه سهله بيده. نتيجة لاستمرار تحايل سليمان باشا في الطلب من حاكم عدن عامر الطاهري الحضور إليه، فضلا عن ذلك عندما تكاثر تواجد الجند العثماني في

---

[1] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨٠، سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن، ص ١٦١، البحراوى، فتح العثمانيون، عدن ص ١٥٣، صالح محمود رمضان، الصراع البرتغالي في اليمن، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ٢٧، يوليو ١٩٨٦/ شوال ١٤٠٦، ص١٤٥.

[2] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨٠،

[3] الموزعى ،عبد الصمد بن اسماعيل، دخول العثمانيين الأول لليمن، تحقيق، عبد الله الحبشى، منشورات المدينة، صنعاء، دار التنوير للطباعة والنشر بيروتط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٥

[4] الكندى، سالم بن محمد، تاريخ حضر موت، تحقيق، عبد الله الحبشي، مكتبة الارشاد، صنعاء، نشر مكتبة الارشاد، صنعاء، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٨٦-١٨٧.

[5] أمة الملك الثور، ص ٤٣٩، عن الوثيقة ص ١٣٣.

عدن، وأصبحت مليئة بهم لم يكن في مقدورة الامتناع عن الحضور لذلك اضطر الاستجابة لطلب سليمان باشا بالحضور، فتوجه هو وزيره، وعدد من كبار رجال دولته للسلام على سليمان باشا إلى السفينة التي هو فيها [١].

والثاني : التعامل الخفي :

وهو أنه كان ينوى القدر والمكر بحاكم عدن لقتله والاستيلاء على بلاده. وهى أنه أوكل سرا إليأحد قادته وهو فرحات الصوباشى أن ينزل بجماعة كبيرة من الجند العثماني إلى مدينة عدن تحت ستار شراء ما يريدونه من التجارة، بينما مقصدهم الاساسى هو التمكن من دخول عدن والاستيلاء عليها دون قتال.

وكانت طريقة دخولهم إلى عدن هى أنهم استمروا ينزلون إليها لشراء ما يحتاجونه منها ويطلعون بها إلى السفن، حتى تكاثروا في البلد وصاروا فيها نحو ثلاثة آلاف أو أكثر. وما أن تكاثر تواجد الجند العثماني في عدن حتى تغير موقفهم من دخولهم لشراء ما يريدونه من البضائع إلى دخولهم للاستيلاء على عدن. وفى الوقت الذى وصل فيه حاكم عدن عامربن داود الطاهرى مع كبار رجال دولته، الى ظهر السفينة، أظهر لهم الحفاوة وحسن الاستقبال، وأطلقت المدفعية عدة طلقات ترحيبا بهم وألبسهم الخلع السلطانية وأبقاهم في السفينة تحت ضيافته، حتى إنهاء مهمة جنده في الإستيلاء على المدينة [٢].

ومن جهة الجند العثماني الموجودون في مدينة عدن فإنه الوقت الذين سمعوا فيه إطلاق المدفعية من السفن لاستقبالهم وصول حاكم عدن وكبار رجال دولته. توجهوا للاستيلاء على عدن وقلعتها، ورفعوا فيها الرايات العثمانية إشعارا بالاستيلاء عليها. ومن خلال ذلك عملوا على نهب دار حاكمها عامربن دواد ثم توجهوا للشروع في نهب الكثير من متاجر المدينة. الا أن سليمان باشا أمرهم بالكف عن نهب الناس، كما أمر عساكره برد ما نهبوه، وكلفأحد قضاه المدينة باسترجاع ما نهبه الجنود، ولكنهم لم يرجعوا مما نهبوا إلا القليل مثل الثياب وما في جنسها، وأما النقود والحلى فلم يرجعوا منها شيء [٣]. إضافة إلى ذلك أعطى سليمان باشا الأمان لجميع من كان بمدينة عدن [٤]، ولذلك هدأت الناس.

ومن جهة أخرى فإن سليمان باشا عندما رأى فتح باب مدينة عدن وأن عساكره قد دخلوا المدينة واستولوا عليها، وتأكد من وقوعها تحت سيطرته، وأن حاكم عدن وكذلك رجال دولته لازالوا تحت قبضته، أظهر غدره بهم بالتخلص منهم بالقتل، ولذلك أمر بصلب عامربن داود ومن معه على صارى السفينة التى هو فيها حيلة ومكرا [٥]، وبقتل عامربن عامربن داود الدولة و انتهت الدولة الطاهرية من اليمن. وبذلك كان عامربن داود آخر من تولى حكم اليمن من الطاهريين [٦].

---

[١]النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨٠، الشلى، السناء الباهر، ص ٣٣٨ ،بافقيه، تاريخ السحر ،ص٢٥٤، سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن ص١٦١، أمة الملك الثور، ص ٤٣٩، عن الوثيقة ص ١٣٣.

[٢]النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨٠، أمة الملك الثور، ص ٤٣٩، عن الوثيقة ص ١٣٣.

[٣]النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨٠ بافقيه، تاريخ الشحر ٢٥٤، أمة الملك الثور ص ٤٣٩ عن الوثيقة ص ١٣٥

[٤]النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨٠.

[٥]النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨٠، البحراوى ،فتح العثمانيون عدن ص ١٥٣،باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمى، ص ١٢٧، العلوى، تاريخ حضر موت ٥٨٠/٢، أمة الملك الثور، ص ٤٣٩، عن الوثيقة ص ١٣٥.

[٦] بافقيه، تاريخ الشحر، ٢٥٤، العلوى، تاريخ حضر موت ٥٨٠/٢.

بعد ذلك عمل سليمان باشا على تولية عدن لأحد السناجق العثمانيين وهو بهرام بك ليتولى حكمها نيابة عن العثمانيين، وترك معه عددا من المدافع الكبار والمكاحل، وجمعا كبيرا من العساكر على اختلاف رتبهم العسكرية بلغ عددهم ما بين الخمسمائة إلى الستمائة، مهمتهم الحفاظ على المدينة من أي غزو ويجيدون استخدام البنادق والضرب على المدافع و المنوابة في الخدمة والحراسة. بالإضافة إلى تركه قائدا للمحافظة على قلعة صيرة ومعه حماية عسكرية، كما ترك عدد من العساكر مدربة على القيام بعملية الحصار. وبذلك الترتيب تمكن سلميان باشا من السيطرة على عدن [١]. وكانت تلك السيطرة في اليوم التاسع من ربيع الأول من سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م وبذلك أصبحت عدن تابعة للحكم العثماني [٢].

وفى هذا الشأن كتب سليمان باشا إلى السلطان العثماني سليمان القانوني إلى إستانبول يخبره أنه تمكن من الاستيلاء على عدن بالقوة بقوله :(أنه أخذ عدن قهرا وأنه افتتحها قسرا). كما أنه كتب على باب عدن (أنه افتتح هذه البلاد في سنة ٩٤٥هـ) [٣]. وفى حقيقة الأمر (أنه افتتحها غدرا ومكرا) [٤].

ولذلك شكرت السلطنة العثمانية ذلك التصرف لسليمان باشا، نتيجة صعوبة الاستيلاء على عدن بسهولة، بحصانتها الطبيعية ودون أن يجد بها مقاومة من جند الدولة الطاهرية، ولم يخسر أحدا من عساكرهم واعتبرت ذلك جزء من مهارة سلميان باشا العسكرية، ولم تدرك أن ذلك الاستيلاء جاء عن طريق الغدر والحيلة وليست المهارة.

وربما تكون السلطنة العثمانية مدركه أن سليمان باشا استخدم الغدر والمكر في الاستيلاء على عدن. ولكنها شجعت تصرفه ذلك لأنها تهدف إلى تجنب السلطنة فقدان الكثير من جندها في الاستيلاء على عدن [٥].

والواقع أن تحصينات مدينة عدن الطبيعية كانت لا تسمح لسليمان باشا وجنده الاستيلاء عليها بسهولة. لو كان حاكمها امتنع عن الإذن لعساكر سليمان باشا دخول عدن، واستخدم القوة لمنعهم الدخول. وما يوضح ذلك أن الكثير من حملات البرتغاليين والمماليك فشلت من الاستيلاء على عدن نتيجة تلك الحصانة الطبيعية. ولكن نتيجة لقبول حاكم عدن وأهلها علان الطاعة والولاء للعثمانيين وسماحهم للجند العثماني دخول عدن، بالإضافة إلى استخدام الغدر والحيلة هي التي جعلت سليمان باشا يتمكن من الاستيلاء علينها بسهولة ويسر دون حدوث أى مقاومة.

ومن الواضح أن أهم الأسباب التي أدت إلى مقتل حاكم عدن عامربن داود الطاهري هو شك سليمان باشا وخوفه من إقدام حكم عدن الاستغاثة بالبرتغاليين ضد العثمانيين.

وما يوضح ذلك اقتناع سليمان باشا برسالة الإمام الزيدي شرف التي تحرضه ضد عامربن داود الطاهري، وهى التي ذكر فيها أنه مداهن للأفرنج البرتغاليين وأنه يريد إدخالهم عدن [٦].

---

[١] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨١، سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن ص١٦١ ،أباظة، فاروق عثمان، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م،ص ٥٢ أمة الملك الثور، ص ٤٤٠، عن الوثيقة ص ١٣٦.

[٢] باحنان، تاريخ الاحقاف، ص ٤٨٧.

[٣] النهزوالى، البرق اليماني، ص ٨١، ابن داعر، الفتوحات المرادية ص ١٨٦، الشلي، السناء الباهر ص ٣٣٨، سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن ص١٦١، أباظة، عدن والسياسة البريطانية ص ٥٢.

[٤] ابن داعر، الفتوحات المرادية ص ١٨٦.

[٥] سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن ص ١٦١.

[٦] الموزعي، دخول العثمانيين الأول لليمن ص ٢٥

كما يوضح ذلك تقرير سليمان باشا للسلطان العثماني والتي يذكر فيه أن حاكم عدن كان ينوى التحالفمع البرتغاليين الكفار، وقد قيل له أن زورقا من زواقهم قد وصل إلي عدن مدة قريبة من وصوله إليها بالإضافة إلى ذلك خشية سليمان باشا من حاكم عدن عامربمن داود الطاهرى على إثارة الفتنة ضد الجند العثمانى عند تركهم في عدن لذلك تخلص منه [١].

يضاف إلى ذلك عدم وجود الثقة بحاكم عدن. وعدم رغبة سليمان باشا التعامل الطيب وتقديم المساعد أو التعاون معه، كونه على علاقة عدائية مع المماليك في تهامة اليمن، والزيدية في شمال اليمن. لأن هذا التعاون سيؤدى إلى دخول سليمان باشا في صراع مع هذه القوى اليمنية. ولذلك فضل التخلص منه لتجنب الدخول في عداء مع تلك القوى. فضلا عن أنه كان يريد انهاء الدولة الطاهرية في عدن لتصبح تابعة للحكم العثمانى. وكذا اتصاف سليمان باشا بالبطش والفتك و(حبه لإراقة الدماء وسفكه)[٢]. يضافإلى ذلك ما يتميز به موقع عدن من أهمية تجارية وعسكرية للعثمانيين، وأهمية موقعها لمدخل البحر الأحمر، وهذا البحر الذي كان العثمانيون يسعون لجعله بحرا عثمانيا خاليا من الوجود البرتغالى.

بالاضافة إلى ذلك أن سليمان باشا كان يخشى عند ذهابه إلى الهند بأسطوله البحر لمقاتلة البرتغاليين، أن يسبقه البرتغاليون إلى عدن ويستولون عليها، وذلك سيشكل صعوبة سليمان باشا العودة بالاسطولإلى مصر كما أنه سيمكن البرتغاليين محاصرة الاسطول البحري العثماني ممن جهة الهند ومن جهة عدن فيؤدى ذلك إلى تعرض الاسطول العثماني وما به من جند إلى الخطر.

ولذلك بدأ سليمان بالاستيلاء على عدن قبل ذهابه إلى الهند كى يؤمن حماية ظهره من تواجد القوى البرتغالية في مناطق سير الاسطول العثماني الواقعة فيما بين مصر والهند.

يضاف إلى ذلك عدم ارتياح فرحات الصوباشي من تصرفات حاكم عدن، عندما أرسله سليمان باشا للتمهيد لحملة الاسطول العثماني سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م وهو أن فرحاتالصوباشي عندما وصل إلى عدن حاملا الخلعة والمرسوم العثماني لدخول حاكمها في طاعتهم. لم يعطيه ردا شافيا وكافيا لذلك. وانما وعدة بالرد عليه عند عودته من الشحر ولما وصل الصوباشى عائدا من الشحر لأخذ الرد تحاشى حاكم عدن مقابلته وإعطائه الرد الواضح وذلك بخروجهإلى خارج عدن تجنبا للقائه، وأوكل أمراءه إعطائه ومن معه شيئا من الفلفل هدية منه، وأهمل أمر الرد عليه ولذلك حقد عليه فرحان الصوباشى، وكان سببا لقتله [٣].

بالإضافة إلى ذلك أوضح سليمان باشا في تقريره للسلطان العثماني صعوبة فتح عدن بالطرق العسكرية لولا استخدامه حيلة الخديعة والغدر بقوله له لسلطانها :(ولا يخفى على العلم الشريف أنه لو لم يتم اتخاذ مثل هذه التدابير فلم يتيسر فتحها ولو دكت من الخارج لأخذها لما كان من الممكن قلع حجر منها بل لم يكن بالإمكان التقرب منها ومن أرجائها لأنها اشتهرت منذ القديم بصرامتها وكونها حصنا وقلعة محكمة).

---

[١] أمة الملك الثور ص ٤٤٠ عن الوثيقة ص ١٣٥، ١٣٦.

[٢] النهزوالى، البرق اليماني ص ٧٩.

[٣] الكندى تاريخ حضر موت ص ١٨٥ بافقيه تاريخ الشحر ص ٢٤٥.

فضلا عن ذلك ذكر سليمان باشا في تقريره التحصينات الطبيعية لمدينة عدن بأن البحار تحيد بها من جهاتها الثلاث . وبعد البحار تحيط بها الجبال العالية أقيمت عليها الأبراج المرتفعة، وبذلك (لا يوجد ما يضاهى قلعتها بالحسن والجمال) .

وعلى ذلك فلسليمان باشا يحمد الله أن تم فتح عدن بسهولة دون اراقة الدماء [1] تلك كانت أهم الأسباب التي أدت إلى استخدام سليمان باشا الغدر والحيلة للاستيلاء على عدن.

الإقتراح :

اقترح سليمان باشا من أجل استمرار تبعية عدن للنفوذ العثمانى عدة نقاط منها تزويد عدن بالكثير من الأسلحة والمدافع والمعدات، ومنها ارسال الآلات والادوات الخاصة في بناء وتعمير عدن وقلعتها ومنها توفير مركبات للجند العثماني حتى تم تحصيل الموارد المالية من انحاء اليمن.

كما اقترح أن تصرف هذه المرتبات أو العلوفات للجند العثماني والمستخدمين العسكرين من خزانة مصر لمدة سنة حتى يتم التمكن من تنظيم ولاية اليمن، وايصال مواردها من أنحاء أطرافها.

كذلك طلب سليمان باشا من السلطان العثمانى اصدار أمر أو حكم تشريفى إلى والى مصر، بارسال خمسة آلآف أردب من القمح وألفين قنطار من البارود يصل إلى عدن لحمايتها من أى غزو برتغالى، تلك هى أهم المقترحات التي اقتراحها سليمان باشا للمحافظة على بقاء عدن تحت يد السلطة العثمانية.

وكذا أوضحت الوثيقة أن خطبة يوم الجمعة المصادف ١٣ ربيع الأول سنة ٩٤٥هـ /١١ سبتمبر ١٥٣٨م قرئت في عدن بالفتح باسم السلطان العثمانى [2]، تعبيرا عن دخولها تحت حكمه وطاعته.

الذهاب إلى الهند والتعامل مع حكامها:

تحرك سليمان باشا بالاسطول الحربى العثمانى من عدن إلى الهند في٢٣ ربيع الاول سنة ٩٤٥هـ / ٢١ سبتمبر ١٥٣٨ م لقتال البرتغاليين [3] وهو الهدف الرئيسي لحملته، فوصل إلى (مطفر أباد) بالمغرب من (الديو) [4]، وآنذاك كانت كجرات والديو في الهند تحت حكم السلطان محمود الذى تولى بعد ابيه السلطان بهادرشاه والذى قتله البرتغاليون في رمضان سنة ٩٤٣هـ/فبراير ١٥٣٨م [5] بحجة اتهامه أنه كاتب العثمانين لمناصرته ضدهم، وكان يحكم إلى جانبه الخواجا صفر الملقب (بخواندخان) واسمه سليمان وهو أحد المماليك الذين قدموا إلى الهند من اليمن.

---

(١) أمة الملك الثور ص ٤٤١ عن الوثيقة ص ١٣٥، ١٣٦.

(٢) أمة الملك الثور ص ٤٤٢ عن الوثيقة ص ١٣٨.

(٣) بافقيه، تاريخ الشحر ٢٥٤.

(٤) النهزوالى، البرق اليماني ص ٨١، ابن داعر، الفتوحات المرادية ص ١٨٦، سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن ص ١٦٢، أباظة، عدن والسياسة البريطانية ص ٥٢.

(٥) المليباري، تحفة المجاهدين ص ٢٧٥.

التعامل:

أثر تعامل سلمان باشا القادر مع أمراء مثر وحاكم عدن على تعامله مع قادة الهند وحكامها، فقد تحاشوا مقابلته بأنفسهم. فمن جهة الخواجا صفر (ظفر) فإنه عند وصول سليمان باشا إلي الهند أرسل إليه أنواع الهدايا [١] وكان يريد الذهاب بنفسه لاستقباله، ولكن نصحه أحد أصدقائه بقوله:(ان سليمان باشا فتاك قتال لا يبقى على أحد) وعدد له من قتلهم غدرا بمصر وعدن. ولذلك أحجم عن مقابلته بنفسه، وظل يتعاون معه دون الالتقاء به.

ومن جهة السلطان محمود بن بهادر شاه فإنه أرسل إليه خانا كبيرا من خوانيته واسمه (ألوخان) وكان يقود نحو خمسين ألف فارس. وقال له (قم في خدمة سليمان باشا وأعنه بعسكرك على الفرنج، وآتهم بالذخيرة، وبكل ما يحتاجون إليه).

ولكنه عندما ذهب إليه إحتقره ولم يعظمه بل تركه واقفا حتى أكمل تأدية رسالته، (ولم يأذن له في الجلوس عنده) . هذا الموقف جعل (ألوخان) يتقاعس عن تقديم المساعدة العسكرية له. كما أدى إلى غضب السلطان محمود، وظهر ذلك عندما أرسل سليمان باشا إلى السلطان محمود بخلعه وسيفلم بقبلها، وقال للرسول :(قل لأستاذك أن كانت هذه الخلعة والسيف من عند حضرة السلطان سليمان، نلبسها، وإن كانت من عندك فليس من مرتبتك إرسال الخلعة إلينا[٢] وهذا يوضح انعدام ثقة حكام الهند بسليمان باشا.

وعلى ذلك فقد كان لمعرفة حكام الهند بغدر سليمان باشا أثره عليهم فقد :(زاد نفورهم منه وكان ذلك سببا لعدم مساعدتهم له على البرتغال) ولذلك خافوا منه ودبروا له حيله ضده وهي أنهم زوروا خطابا باسم البرتغال بذكر أنهم قادمون باسطولهم الحربي إلى (ديو) لمناصرة من بها من البرتغاليين ومحاربة الاسطول العثماني. وبذلك أدرك سلميان باشا صعوبة التعاون مع حكام كجرات في الهند لإتمام مهمته في محاربة البرتغاليين فقرر العودة إلى سواحل اليمن للسيطرة عليها. وبذلك فشلت مهمة الأسطول الحربي العثماني بتحقيق هدفه الرئيسي وهو محاربة البرتغاليين وطردهم من الهند [٣]،وهذا بدوره شجع البرتغاليين على البقاء في الهند وسيطرتهم على التجارة في المحيط الهندي.

أما عن العمل العسكري لسليمان باشا في الهند فإنه عندما وصل إلى كجرات بالهند توجه إلى الديو لمحاربة البرتغاليين فحاصر قلعتها من جهة البحر وضربها بالمدافع الكبيرة، أدت إلي تدمير أكثر حصينات القلعة [٤]، ولكنه لم يستمر في الحصار والتقدم للاستيلاء على القلعة بسبب انعدام الثقة بينه وبين حكام الهند، وخوفه من قدوم الأسطول الحربي البرتغالي لمساعدة من في القلعة منهم ، فقرر العودة للاستيلاء على سواحل اليمن.

وبالنسبة للقوة العسكرية العثمانية فقد بقيت جماعة كبيرة منهم طمعا في العلوفة (المرتبات) الكبيرة التي كان حكام الهند يدفعونها، كما تركت معهم عدة مدافع كبيرة لاستخدامها في مقاتلة البرتغاليين [٥]، وقد استمر إقامة الأسطول الحربي العثماني في الهند لمدة شهرين [٦].

---

[١] النهزوالى، البرق اليماني ص ٨٢، ابن داعر، الفتوحات المرادية ص ١٨٦، سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن، ص ١٦٢.

[٢] النهزوالي، البرق اليماني، ص ٨١–٨٣ .

[٣] النهزوالي البرق اليماني ص ٨١ –٨٣ سيد مصطفي الفتح العثماني لليمن ص ١٦٢–١٦٤ .

[٤] المليباري تحفة المجاهدين ص ٢٧٨ اباظة عدن و السياسة البريطانية ص ٥٣ .

[٥] النهزوالى، البرق اليماني ص ٨٤

[٦] باحنان تاريخ الاحقاف ص ٤٨٧.

وصول سليمان باشا إلى الشحر وتعامله مع حاكمها:

فى اليوم الرابع من شهر رجب سنة ٩٤٥هـ / ٢٦ نوفمبر سنة ١٥٣٨م وصل سليمان باشا بالاسطول الحربي العثماني إلى الشحر عائدا من الهند. وآنذاك ساور أهل الشحر الشكوك والخوف من أن يكون هذا الاسطول تابعا للبرتغاليين[١] وربما فكروا بالاستعداد لمواجهته، ولكن خوفهم زال عند معرفتهم أن هذا الأسطول تابعا للسلطان العثماني، وهم القوة الاسلامية التي قدمت المحاربة البرتغاليين وتقديم المساعدة للحكام المسلمين. وخلال وصول سليمان باشا بأسطوله إلى الشحر، لم يكن بدر بن طويرق موجودا فيها لذهابه لمحاربة المخالفين له في حضر موت. ولكنه أوكل إلى نائبه أحمد بن مطران استقبله وتوفير ما يحتاجه من المؤن. ولذلك توجه أحمد بن مطران إلى السفينة سليمان باشا للترحيب به فاستقبله سليمان أحسن استقبال وخلع عليه. وآنذاك سمح احمد بن مطران للجند الأتراك العثمانيين النزول إلى الشحر لشراء ما يحتاجونه من البضائع التجارية والحاجات المطلوبة لهم.

وأثناء ذلك تم الاتفاق على أن يدفع حاكم الشحر رسوما للعثمانيين قدرها عشرة آلاف أشرفى سنويا إلا أنه لم يف لهم بهذا الاتفاق [٢]، ويرجع ذلك إلى أن الظروف المالية لحاكم الشحر من محاربته للبرتغاليين وصراعه مع القوى الداخلية لم تمكنه من الاستمرار بدفع المبلغ سنويا، كما أن الاتفاق بدفع هذا المبلغ يعبر عن التزام حاكم الشحر بطاعة العثمانيين دون إجباره على توفير المبلغ إذا لم تسمح الحالة المالية لبلاده. كما تم الاتفاق على تسليم سليمان باشا الاسراء البرتغاليين الذين أسرهم الشحر والمقدر عددهم بنحو ثلاثين أسيرا [٣]، كما وعد سليمان باشا باعطاء بدر الطين طويرق أمرا يحكم حضر موت من باب عدن حتى ظفار [٤]، بالإضافة إلى أن سليمان باشا أرسل سنجقا مع جماعة من أصحابه حاكم الشحر بدر بن طويرق إلى حضر موت [٥]

تعامل سليمان باشا مع حاكم الشحر:

اتسمت العلاقة بين سليمان باشا وحاكم الشحر بدر بن طويرق بالتعامل الطيب. ويرجع ذلك إلى المرحلة التمهيدية التى قام بها فرحات الصوباشى إلى الشحر سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م والتى أبلغ حاكمها أن سليمان باشا قادم بالأسطول الحربي لمحاربة البرتغاليين، ويطلب منه التعاون معه ضدهم وامداده بالمؤن التي يحتاجونها. وكان فرحات الطوباشى قد حمل معه خلعة ومرسوما لحاكم الشحر تعبيرا عن استعداد السلطنة التعاون معه. وملما تسلم حاكم الشحر الخلعة والمرسوم من فرحات الطوباشي عند وصوله إلى الشحر ثم الإحتفال بهذا التسليم وهم واقفون جميعا تواضعا لأمر السلطان العثماني القانوني وهذا يعبر عن استعداد حاكم الشحر لإعلانه الولاء والتعاون مع السلطان العثماني ولذلك خطب له

---

[١] بافقيه تاريخ الشحر ٢٥٧ سيد مصطفي الفتح العثماني لليمن ص ١٦٤ .

[٢] بافقيه تاريخ الشحر ٢٥٨ باحنان تاريخ الاحقاف ص ٤٨٧ سيد مصطفي الفتح العثماني لليمن ص ١٦٥ باوزير صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٢٨ اباظة عدن و السياسة البريطانية ص ٥٣ الجعيدي عبد الله سعيد حضر موت و الاحتلال العثماني الاول مجلة سبا عدد ١٤-١٥ ، ١٤٢٨ هـ /٢٠٠٧ ، ص ٢٨١ .

[٣] بافقيه تاريخ الشحر ٢٥٩ باوزير صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٢٧-١٢٩ .

[٤]باوزير صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٢٦ الجعيدي حضر موت و الاحتلال العثماني الاول ص ٢٨١ .

[٥] بافقيه تاريخ الشحر ٢٥٨ الجعيدي حضر موت والاحتلال العثماني الاول ص ٢٨١ .

في جامع الشحر في اول جمعة قدمت بعد تسليمه للخلعة والمرسوم كما أنه ابلغ خطباء جوامع بلاده أن يخطبوا فيها باسم السلطان العثماني سليمان القانوني.

وتعبيرا عن احترام حاكم الشحر لسليمان باشا والى مصر أرسل إليه هدية ثمينة أثناء ولايته لها وهي عبارة عن (فص من الماس وخمسمائة مثقال عنبر) أصلى بالإضافة إلي ذلك أعطى رسوله فرحات الصوباشي والجماعة المرافقة له هدية:(نحو ثلاثين بهار فلفل)[1].

يضاف الى ذلك أن حاكم الشحر كان قد كاتب سليمان القانوني يطلب مساعدته ضد البرتغاليين، ويبدى استعداده لموالاته وطاعته، كونه حاكما مسلما وخوفا على بلاده أن تقع تحت قبضة البرتغاليين [2] كما أن موقف حاكم الشحر بدر بن طويرق كان واضحا في محاربته للغزو البرتغالي لبلاده لعدة مرات، وقد أسر منهم الكثير تخلل تلك الحروب عدة مصالحات لاطلاق الاسرى.

أسفرت تلك المواقف التي اتبعها حاكم الشحر بدر بن طويرق رضى سليمان باشا ورسوله فرحات الصوباشي، لذلك اختلف التعامل معه عند وصول سليمان باشا بالاسطول الحربي إلى الشحر.

تعامل سليمان باشا مع والى زبيد وتهامة:

بعد أن وثق سليمان باشا بان سواحل حضر موت اصبحت تحت ولاء السلطنة العثمانية تحرك بالأسطول الحربي التركي العثماني من الشحر نحو عدن في ١٣ شعبان ٩٤٥هـ/ ٥ يناير ١٥٣٨م [3] ومنها سار نحو ميناء المخاء ونزل فيها. وعن تعامل سلميان باشا مع حاكم زبيد وتهامة المملوكى فقد استمت بالحيلة والغدر، وهي العادة التي اتبعها سلميان باشا مع الكثير من الامراء الذين لا يثق بهم. وفى ذلك الوقت كانت زبيد وتهامة تحت حكم المماليك، وكانوا قد أعلنوا ولاءهم وطاعتهم للسلطنة العثمانية منذ سقوط دولتهم بمثر سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م وظلوا مواليين لها ويحكمون اليمن باسمها. الا ان سليمان باشا لم يثق بهذا الولاء فعمل بالحيلة والغدر على التخلص منهم وحول تعامله الغادر معهم أوردت المصادر رأيين وفى كل رأى تعامل ظاهري وخفي هي الآتي:

الرأي الأول: التعامل الظاهري:

وفيه عندما أرسي سلميان باشا بأسطوله الحربي في ميناء المخا ونزل فيها، أظهر حسن النية والطيبة مع حاكم زبيد وتهامة المملوكي النأخوذة أحمد، فأرسل إليه. بخلعة سنية أو ثمينة ومرسوم فيه منحة الأمان وبذكر فيه أنه سيظل نائبا عن السلطنة العثمانية في اليمن كما هو. ويطلب منه الوصول إليه بنفسه، لاستكمال إجراءات توكيد بقائه في هذا المنصب. ولما وصل المرسوم بالأمان للناخوذة أحمد ساوره الشك والقلق ولذلك استشار أكابر خاصته، ونتيجة لما اتصف به سليمان باشا من المكر وسفك الدماء وغدره بحاكم عدن بقتله. فكل خاصته أشاروا عليه بعدم الذهاب إليه وحذروه من خدعه وشره ومكره. وأبدوا استعدادهم لطاعته أن برضى منهم بالطاعة أو الحرب ان أرادها ولم يرض بالطاعة ولكن الناخوذة أحمد لم يرد إظهار نفسه انه غير مطيع لأوامر سليمان باشا ولذلك غلب عليه رأى الذهاب

---

[1] بافقيه تاريخ الشحر ٢٤٥

[2] باوزير ، صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٢٦ .

[3] بافقيه تاريخ الشحر ٢٥٨.

وعدم استصواب لرأى كبار أصحابه بعدم الذهاب. ولذلك قرر السير لمقابلة سليمان باشا واصطحب معه من خاصته وعبيده نحو الخمسمائة، كما حمل معه قدر عليه من الهدايا لتقديمها له [١].

التعامل الخفى:

هو استخدام سليمان باشا اسلوب الحيلة والغدر كعادته، ولذلك فما أن وصل إليه الناخوذة أحمد والى زبيد حتى أسرع في الحال الى التخلص منه بالقتل وكان قتله في ٨ شوال ٩٤٥هـ/ ٢٧ فبراير ١٥٣٩م [٢].

أثار قتل سليمان باشا للناخوذة أحمد مفاجأة لمن كان معه من خاصته وعبيده الخوف والذعر والإسراع في الهرب والتشتت خوفا علي أنفسهم من أن ينالهم نفس المصير . الا أن سليمان باشا تعامل معهم بنفس الأسلوب الماكر فمن حيث **التعامل الظاهرى** نادهم للحضور اليه ليصرف لهم العلوفة أو المكافآت ومن المعتقد انه قدم لهم المواثيق والعهود بعدم التعرض لهم بسوء، وانه لا ذنب لهم بما فعله حاكم زبيد وهو لا يرغب في قتلهم، وانه يمنحهم العفو والأمان وطلب عودتهم لمنحهم المكافآت أو العلوفة. ولذلك اقتنعوا بنادئه إليهم وعادوا لاستلام العلوفة فكان مصيرهم القتل.

وفى الخفية أنه كان يريد خدعهم بالحضور إليه والحيلة التى استخدمها للتخلص منهم بالقتل هي أنه أدخلهم في حوش كبير له باب واحد وفيه بدأ بناديهم على شخصيين شخصين لاستلام علوفاتهم او مكافآتهم وكان كل من يخرج من الحوش يتم قتله دون معرفة الاخرين ممن كانوا في الحوش. وبذلك تمكن من التخلص منهم جميعا بالقتل [٣] وبهذه الطريقة الخادعة سهل عليه الاستيلاء على زبيد وتهامة.

الرأى الثانى:

وهو أن سليمان باشا استخدم فيها الحيلة والخداع وهي أنه اوكل إلي جماعة من أصحابه الدهاة مهمة السعي في المصالحة أو الوساطة فيما بينه وبين حاكم زبيد وتهامة الناخوذة أحمد المملوكي. وخلال السعي لهذه المصالحة او كل إليهم سليمان باشا ان يفسدوا المماليك في تهامة على واليها إما بالترغيب بمنحهم المكافآت والرتب والعفو عنهم أو بالترهيب بمعاقبتهم وتضرر مصالحهم. ولذلك مال الكثير من اتباع الناخوذة على صف سليمان منهم جماعة من القادة الشجعان وأدى ذلك تسللهم الى سليمان باشا ولم يبق مع الناخوذة احمد الا القلة و أمام ذلك لم يكن له بد من طلب الأمان من سليمان باشا والاتجاه لمقابلته، وبعد منحه الأمان وسيره إليه، أمر سليمان طائفة من جنده أن يلتقوه في الطريق ويقتلوه قبل وصوله إليه، وبالفعل بادروا بقتله وقتل الكثير من اتباعه عندما قاربوا الوصول إليه[٤].وكان قتلهم في ٨شوال سنة ٩٤٥هـ / ٢٧ فبراير ١٥٣٩م. بعد ذلك ولى سليمان باشا أمر زبيد وتهامة أحد السناجق الأتراك العثمانيين وهو مصطفى بك وكان يشعل من قبل نيابة غزه، وكتب له طغراء أو امرا سلطانيا بتوليته زبيد وتهامة وترك معه جمعا كبيرا من الجند التركي العثماني، وبذلك أرسل سليمان باشا جاووش إلي الباب العالى مبشرا بفتح بلدان كثيرة من بلاد اليمن [٥] وهكذا نجحت حيلة سليمان باشا وغدره في الاستيلاء على زبيد وتهامة.

---

[١] النهزوالي، البرق اليماني ص ٨٥ ابن داعر الفتوحات المرادية ص ١٨٦

[٢]النهزوالى البرق اليماني ص ٨٥-٨٦، ابن داعر، الفتوحات المرادية ص١٨٦

[٣]النهزوالي البرق اليماني ص ٨٥-٨٦ ابن داعر الفتوحات المرادية ص ١٨٦ سيد مصطفي الفتح العثماني لليمن ص ١٦٥ اباظة عدن و السياسة البريطانية ص ٥٣ .

[٤]يحيي بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ،تحقيق، سعيد عاشور، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م،٢/ ٦٨٤-٦٨٥ ، عيسى بن لطف، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق ابراهيم المقحفى، مركز عبادى للدراسات والنشر صنعاء ط١ ، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م ،ص١١١

[٥]النهزوالي البرق اليماني ص ٨٦ سيد مصطفي الفتح العثماني لليمن ص ١٦٦ اباظة عدن و السياسة البريطانية ص ٥٣ .

السير نحو جيزان وجدة:

بعد ان تمكن سليمان باشا من الاستيلاء على سواحل تهامة اليمن وتوليتها للقادة الاتراك العثمانيين. عزم على التوجه نحو جدة فمر على طريقة علي جزيرة كمران (قمران) وولى عليها أحد القادة العثمانيين فنزل اليها مع حاميته خوفا من اقدام البرتغاليين على الاستيلاء عليها. كما مر في طريقه على جيزان (جازان) ليجعلها تابعة للسلطنة العثمانية حتى يكمل السيطرة على سواحل اليمن وجيزان حتى جدة لتصبح هذه السواحل ضمن النفوذ العثماني لأنها الدولة الأكثر قوة والتي بامكانها حماية هذه السواحل من الغزو البرتغالى. وعن الطريقة التي تم الاستيلاء فيها على جيزان وهو انه كاتب شريف مكة يطلب منه تسلمها له حتى لا يثير غضبه ويتحول الى خصام يؤدي الى قتال فيما بينهما، وجريا على طريقة سليمان باشا ان يستولى على المناطق بالحيلة ودون قتال. فوافق شريف مكة علي ان تكون جيزان تابعة للسلطنة العثمانية كونه هو نفسه تابعا لها. ولعدم مقدرته المالية والعسكرية الاحتفاظ بجيزان وجعلها تابعة له. فكتب الى نوابه على جيزان ان يسلموها الى سليمان باشا[١] وكان شريف مكة أبو نمى قد استولى على جيزان من حاكمها عامر عزيز سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م بسبب خلاف نشب بينهما وترك فيها نوابا له [٢]. ويخشى استمرار الحرب بينه وبين عامربن عزيز الذي هرب الى اقصى البلاد.

وعندما سيطر سليمان باشا على جيزان ولى عليها أميرا عثمانيا وترك معه حامية عسكرية عثمانية، وجعله تابعا للوالى العثماني لزبيد وتهامة، والهدف من ذلك جعل قيادة سواحل تهامة تحت قيادة واحدة حتى يتمكن من تجميعهم لمقاتلة البرتغاليين أو إذا حاولوا الاتجاه للاستيلاء على سواحل تهامة اليمن وحجاز.

وعن استيلاء سليمان باشا لجيزان أبلغ السلطنة العثمانية أنها ضمن البلدان التي تمكن من فتحها. ومن جيزان (جازان) تحرك سليمان باشا بالأسطول الحربي العثماني نحو جدة، فوصلها في يوم ٢٠ ذو القعدة ٩٤٥هـ/ ١١ ابريل ١٥٣٩م. وأقام مخيمه في سواحلها ومنها عمل على ارسال الاسطول الحربي بما فيه من الاغربة والبرشات و الآلات نحو مصر. وبقي هو مع قلة من اصحابه وتوجه نحو مكة لأداء فريضة الحج، وفيها التقى الشريف مكة و بأمير الحج المصري ، وبعد تأدية سليمان باشا لمناسك الحج سار نحو مصر برا برفقة أمير الحج المصري والشامي كما اصطحب معه جمعا من امراء مكة وقضاتها لتوصيلهم إلي الباب العالي لإبقاء منصب القضاء بيد العرب كما جرت العادة.

وبعد وصول سلميان باشا إلي مصر توجه إلي إستانبول وفيها عين وزيرا بالباب العالي، وظل فى هذا المنصب حتى نشبت مناقشة مشاجرة بينه وبين الوزير الثانى أسفرت عن عزلهما واستمر معزولا حتى وفاته سنة ٩٦٠هـ / ١٥٥٣م[٣]

وإذا كان الهدف الأساسي لاتجاه الأسطول الحربي التركي العثماني هو طرد البرتغاليين من ديو في الهند [٤]فأن ذلك لم يتحقق فتحول الهدف إلى السيطرة على سواحل اليمن لتكون قاعدة لاستقرار العثمانيين تمكنهم من منع البرتغاليين من السيطرة عليها وعلى مداخل البحر الأحمر، كما تمكنهم من معاودة محاربة البرتغاليين في بلدان الهند ومواليها ونزع سيطرتهم على الطريق التجاري في المحيط الهندي.

---

[١]بافقيه، تاريخ الشحر، ٢٥٩، سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن ص ١٦٧

[٢] النهزوالي البرق اليماني ص ٨٨

[٣]النهزوالى البرق اليماني ص٨٨-٩٢، الشلي، السناء الباهر ص٣٣٩،سيد مصطفى، الفتح العثماني لليمن ص١٦٧.

[٤]القيسي ، المجابهة البرتغالية- العثمانية في المياه العربية ص١٧٠.

أثر تعامل سليمان باشا:

كان لاستخدام سليمان باشا اسلوب الحيلة والخداع للتخلص من الأمراء و القادة أثره على سليمان باشا نفسه حيث أنه لم يكن يستطيع النزول سفينته إلى البر لمقابلة القوى الاسلامية في البلدان التي اتجه لمساعدتها في الهند، أو الاستيلاء عليها في سواحل اليمن، وذلك لعدم ثقته من طاعتهم له.وخوفا من أن يمكروا به أو يستخدموا معه الحيلة للتخلص منه بالقتل، وهو نفس تصرفه. ولذلك ظل في ظهر السفينة طيلة رحلته من مصر حتى عودته إلى جدة وذهابه إلى الحج.

كما أن تعامل سليمان باشا الماكر خلق عدم الثقة فيما بينه وبين القوى الحاكمة في اليمن والهند ولذلك لم يتعاونوا معه التعاون المطلوب، فأدى ذلك إلي عدم مقدرة القوى الاسلامية رغم كثرتها تحقيق النصر أو التغلب على القوى البرتغالية رغم قلتها، وذلك لانعدام الثقة والتعاون بين الطرفين.

وعلى ذلك فإن التعامل الأخلاقي والإنساني والديني والقانوني من أهم العوامل التي تؤدى إلي تمكن القادة من إقناع الجند وسكان البلدان على طاعتهم، كما أنها من أهم المرتكزات التي تؤدى إلي تحقيق النصر، بالإضافة الى انها من أهم الدعائم التى تؤدى إلي خلق الثقة فيما بين القادة وجندهم وقادة وسكان البلدان الأخرى.

وفى هذا المجال فقد كان تعامل القادة البرتغاليين مع قواتهم يتصف بالتعامل الإنساني، لم يكن يسوده الخلاف والتصارع ولم يحدث فيما بينهم الصراع من اجل السلطة، فأدى ذلك إلي أن أطاعهم الكثير من سكان الهند غير المسلمين، في حين أن المسلمين كانوا على خلاف كبير مع بعضهم البعض، وكانوا يقتلون بعضهم البعض من أجل السلطة. وذلك ما أوضحه المليبار بقوله:(ولم يسمع أن أحدا منهم (اى البرتغاليين) قتل كبيرهم لأجل الولاية، ولذلك دانت لهم مع قلتهم، رعاة مليبار وغيرها بخلاف ما عليه عساكر المسلمين وأمراؤهم من اختلاف وطلب الاعتزال على الغير ولو بقتله) [١].

وهذه صورة توضح ما كان عليه المسلمون من خلاف سبب عدم انتصارهم على البرتغاليين.

الخاتمة

استعرض هذا البحث استخدام سليمان باشا اسلوب الحيلة والخداع مع القوى الحاكمة لسواحل اليمن للاستيلاء عليها. فكان لهذا التعامل أثره على القوة العثمانية، وهي أن حملة الأسطول الحربي العثماني لم يحقق هدفه في الهند، من مناصرة مسلميها في قتال البرتغاليين. وهو الهدف الرئيسي الذي جاء بناء الاسطول الحربي سببا له.

ولذلك فإن سليمان باشا حول هدف الأسطول نحو الاستيلاء على سواحل اليمن. رغم أن حكامها كانوا يرحبون بالاتراك العثمانيين للتعاون معهم لمحاربة البرتغاليين كما أنهم أعلنوا طاعتهم للسلطنة العثمانية، ولم يكونوا بحاجة إلي استخدام الحيلة والمكر، ولكن تعامل سليمان باشا الماكر بقتل حكامها كان له أثر كبير على عدم تعاون القوى في اليمن مع القوة العثمانية.

وما نستنتجه من هذا البحث أنه على الرغم من تكرار تعامل سليمان باشا لأسلوب الحيلة والخداع ومعرفة الكثير منهم لتعامله بهذه الطريقة، الا أنه لم يكن لأحد من الحكام والأمراء ان يستطيع إدراك هدف تعامله، والسبب في ذلك يرجع إلي أنه كان يبدأ بالتعامل الطيب معهم وتقديمه للخلع والهدايا، ووعده لهم في إبقائهم في حكمهم، ثم يحول تعامله الطيب معهم ووعده إلى حيلة ومكر للتخلص منهم بالقتل. وهذا في حد ذاته لم يحقق للقوى الاسلامية رغم كثرتها الانتصار على البرتغاليين رغم قلتهم، وهذه هي الصورة التي ظلت مسيطرة على تعامل القوى الاسلامية في الكثير من البلدان. وبسبب ذلك كان المسلمون ضعفاء أمام الآخرين.

---

[١] المليبارى، تحفة المجاهدين ص ٢٦٥.